دور مثقفي بغداد في الحياة الفكرية

١٩١٤ – ١٩٢١

م . م . عادل مدلول علي
جامعة القادسية ـكلية التربية

الخلاصة :

ان التطورات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدها العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر هيأت الارضية المناسبة من اجل ان يتمكن العراق من اجتياز المرحلة التي اصطلح على تسميتها من قبل المؤرخين بالعصور المظلمة ، وكانت لهذه التطورات الاثر الكبير والبارز في ميلاد بعض الافكار الحديثة المثقفة بداية القرن العشرين ، الا انها عجزت من ان تؤدي الى خلق تطور فكري سريع للافكار الوطنية فتركت المجال رحبا امام العوامل الخارجية التي رفدت الفئة المثقفة العراقية بتيارات فكرية جديدة وبواسطة قنوات مختلفة احتلت الرحلات والبعثات الدراسية المقام الاول منها .وادى نشاط المثقفين الى ظهور ملامح فكر جديد على النقيض من الفكر التقليدي السائد باتجاه اصلاحي لا تغيير ثوري ، ولكنه بقي محصورا بين جدران مجالس المثقفين الخاصة .واذا ما حصل تحرك سياسي في تلك المرحلة فإنه كان في اطار فردي ، الا ما ندر ويعزى ذلك الى ضعف الطبقة الوسطى التي لم يكن بمقدورها ان تتحول الى حلقة وصل بين فكر المثقفين وبين عامة الناس والمجتمع البغدادي ، فضلا عن الجو السياسي الذي خيم على العراق في ظل حكم السلطان عبد الحميد الثاني ، والذي كان بمثابة عصا في عجلة تحرك المثقفين .ومع ذلك ظهرت حالات تحد لدى بعض المثقفين في بغداد ضد النظام السياسي العثماني في حين نقل معظم المعارضين لهذا النظام في الاقاليم الاخرى نشاطهم الى خارج الدولة العثمانية ، مع العلم انهم لم يستهدفوا سوى الاصلاح في الداخل ، فلم يفكروا بالانفصال عن جسم الدولة العثمانية .وحقق المثقفين بشرائحهم كافة قفزة نوعية في تطورها الفكري والسياسي بعد اعادة العمل بالدستور عام ١٩٠٨ واصبح لهم وزن سياسي وفكري ، فقد اندمجت بتيار الاصلاح الاجتماعي باعتباره جزءاً من تيار التجديد ، مما تجسد في نشاطهم في ميداني الصحافة والتعليم ، وتكونت لديها مطالب سياسية واعية كانت تمثل خطوة نوعية الى الامام . وبناءً على ذلك ظهرت في المدة الممتدة بين عام ١٩٠٨ وقيام الحرب العالمية الاولى مظاهر تحديث فكري سياسي جعلت من هذه السنوات مرحلة قائمة بحد ذاتها ، وعلى الرغم من رد الفعل المباشر والسريع من قبل القوى المحافظة ، ان المثقفين كانوا يدعون الى التحديث وتمكنوا من ارساء اسس صحيحة لنشاطهم في المرحلة اللاحقة .ويبدو أن المنتمين داخل صفوف الفئة من المثقفين في تلك المرحلة مع قلة نشاطهم السياسي سجلوا في ميدان التحرك الوطني والقومي منطلقات لم تكن مالوفة في المجتمع العراقي قبل هذه المرحلة ، الامر الذي تحول الى وسيلة مهمة للرجوع الى العقل .وقد تبين أن موقف هؤلاء ازاء التغلغل الاستعماري في المنطقة لاسيما الضغط العثماني المتزايد عليهم كان نقطة ضوء جديرة بكل تقدير بالنسبة لمرحلتها .ولكن ذلك لا يعني ظهور خط محدد واضح وثابت لدى المثقفين الذين غالبا ما كانوا يغيرون مواقفهم الا ما ندر ، وتجسد ذلك بصورة خاصة في سنوات الحرب العالمية الاولى .

المقدمة :

يرتبط مفهوم الحياة الفكرية في بغداد بالنشاط التعليمي الموجود في تلك الحقبة ، وقد استحقت تلك المرحلة من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١ الدراسة من اجل الوقوف على الانشطة الفكرية كافة من قبل مثقفي بغداد .وعلى الرغم من تصدي بعض رجالات الفكر والثقافة إلى تأليف عدد من المؤلفات الخاصة بالحياة التعليمية في بغداد إلا أن بعد نواحي هذه الحقبة ظلت قاصرة من حيث البحث الاكاديمي مع ابقاء جوانب مهمة لا زالت تستحق الدراسة الجادة على وفق نظرة تتسم بالشمول والاحاطة الزمانية والمكانية وبناءً على ذلك وقع الاختيار على هذا الموضوع اذا اخذنا بنظر الاعتبار محاولات الاتحاديين الانفراد بالحكم مع اطلاق العنان من قبلهم لافكار الحرية والديمقراطية التي جعلت مثقفي بغداد يتخذون مذاهب شتى في مجال الفكر والثقافة .وشهدت هذه المرحلة بعض الافكار السياسية التي اتخذها السياسيين العثمانيين لاسيما فيما يتعلق بفكرتي الاستبداد والمشروطة وفكرتي الاتحاد والائتلاف وفكرتي المحافظة والتقليد أو التغريب وكذلك فكرتي المسالمة والجهاد ثم فكرة الثورة والتعاون مع الاحتلال البريطاني عام ١٩١٧ ، وفي ضوء تلك الافكار افرزت هذه المرحلة انشطة فكرية من قبل مؤلفي ومثقفي بغداد عامة .وعلى امتداد هذه المرحلة التاريخية شهدت بغداد ظهور شخصيات بالغة الأهمية سواء في ادوارها في الاحداث أو بوصفها قوة اجتماعية وسياسية وفكرية من خلال ادوات الفكر المتاحة والتنظيمات السياسية والاجتماعية المختلفة .وكان التنوع الطائفي والديني للمثقفين في بغداد المسألة الاكثر حساسية في مجال الفكر ، إذ اخذت كل جهة تمثل ارائها في اختيار المؤلفات الخاصة بها ، من خلال النتاجات الفكرية لهؤلاء على الاصعدة كافة لاسيما فيما يتعلق بالانشطة الفكرية .واكتسب هؤلاء المثقفين فكر وثقافة مختلفتين تبعا للتاثير الفكري فيهم فانقسموا إلى عدة مرجعيات ، فمنهم حمل الثقافة العثمانية وعدوا هؤلاء من المحافظين ، واخر اتبع الفكر والثقافة الاوربية بناءً على التحديث في حين ذهب فريق آخر إلى السير خلف الثقافة العربية لاسيما افكار مثقفي بلاد الشام ومصر على وجه الخصوص ، كما هو واضح من نتاجاتهم في تلك المرحلة .وركزت الدراسة على عدة محاور وهي النتاجات الفكرية لمثقفي بغداد في المحور الأول ، ثم تنتقل الدراسة في المحور الثاني إلى اسهام المثقفين في تأليف المراجع العلمية والمدرسية ، وفي المحور الثالث إلى المثقفين والحركة الصحفية في بغداد .واعتمدت الدراسة على عدة مصادر هامة ومنها مخطوط لعباس العزاوي وهو (تاريخ المعاهد الخيرية في العراق) وباقر امين الورد (أعلام

العراق الحديث) ومير بهري (أعلام اليقظة الفكرية في العراق) وبعض الصحف والمجلات للمثقفين ومنها (المقتطف) و (صدى بابل) .

المحور الأول
الخلفية الاجتماعية لمثقفي بغداد ١٩١٤ - ١٩٢١

١. النتاجات الفكرية لمثقفي بغداد :

أسهمت الحركة الفكرية في بغداد في مدة البحث في تطورات كبيرة على جميع الأصعدة فقد برزت عدة مؤلفات للمثقفين البغداديين أخذت على عاتقها مهمة أغناء الجانب الثقافي في المدينة من خلال إدخال هذه المؤلفات ضمن المناهج الدراسية للمدارس على كافة مستويات التعليم لاسيما إذ أخذنا بنظر الاعتبار المدة التي طبعت فيها هذه المؤلفات ، وهي مدة انتقالية من الحكم العثماني الى الحكم البريطاني مما يعني تغير الأفكار التي كانت سائدة في إطار الحكم العثماني وان بقيت قسماً منها ضمن الفكرة العثمانية كما سيأتي [i] . وبناءً على هذا الأساس وحاجة المدينة الى هذه المؤلفات طبعت اغلب النتاجات الفكرية للمثقفين في مطابع مدينة بغداد أو بالأحرى في مطابع بعض المثقفين دعما منهم للحركة الفكرية على نحو عام مما سهل وضع هذه المؤلفات بيد المثقفين الذين حرصوا على التعاون معهم خدمة لمصالحهم [ii] . ومن اجل الاطلاع بشكل واسع على هذه النتاجات فان الجدول رقم (١) يبين أهم النتاجات الفكرية لمثقفي بغداد للمدة من (١٩٠٨- ١٩٢١) :

ت	المثقف	المؤلف	سنة الطبع
١.	ابراهيم منيب الباجه جي	نزهة الإحداق في مباحث السباق	١٩٠٩
٢.	احمد الشيخ داود	المواهب الرحمانية والسهام الاحمدية	١٩٠٩
٣.	احمد عزت البغدادي	فصل القضاء في الفصل بين الضاد والظاء	١٩٠٩
٤.	اسماعيل البغدادي	أسماء المؤلفين واثأر المصنفين	١٩٠٩
٥.	اسماعيل الخطيب	زهر الازهار في منتجات الاشعار	١٩١٠ [iii]
٦.	اسماعيل الكاظمي	شرح المعالم في الأصول	١٩٠٩
٧.	اسماعيل الواعظ	الدر النفيس في الوعظ والتدريس	١٩١٠
٨.	امجد الزهاوي	الوصايا والفرائض	١٩١٠
٩.	انستاس ماري الكرملي	الفوز بالمراد في تاريخ بغداد	١٩١٠
١٠.	انطوان شماس	مبادئ الحقوق الدستورية	١٩١٠
١١.	بدري السويدي	حالات الإنذار في القانون المدني	١٩١٠
١٢.	جبرائيل حنوش	مختصر المستفاد من تاريخ بغداد	مخطوط سنة ١٩٢٠
١٣.	جميل صدقي الزهاوي	الجاذبية وتعليلها	١٩١٠
١٤.	حسن السهروردي	الرحلة اليمانية	١٩١١
١٥.	حسن الصدر	تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام	١٩١٢
١٦.	حمدي الاعظمي	خلاصة الهندسة	١٩٢١ [iv]
١٧.	حيدر الصدر	الأوضاع اللفظية	١٩١٣ [v]
١٨.	داود صليوا	حياة الوالي ناظم باشا	١٩١٥
١٩.	رئيسان الارمني	طب العيون	١٩١٨
٢٠.	سليم اسحاق	حوادث الزمان	١٩١٧ [vi]
٢١.	سليمان غزالة	سوانح الفكر	١٩١٣
٢٢.	شكري الفضلي	ديوان شعر الفضلي	١٩١٣
٢٣.	عبد الاحد جرجي	الروحانيات والتاريخ	١٩١٨
٢٤.	عبد الجليل ال جميل	شروح في الاصول والمنطق	١٩١٥
٢٥.	عبد اللطيف ثنيان	امثال العوام في دار السلام	١٩٢١
٢٦.	عبد الوهاب النائب	القول الاكمل في شرح المطول	١٩١٦
٢٧.	علي ظريف الاعظمي	دروس التجويد الدر والياقوت في محاسن السكوت	١٩١٣ [vii]

٢٨.	علي علاء الدين الالوسي	نقد مقامات الحريري لابن الخشاب	١٩١٢
٢٩.	كاظم الدجيلي	الفرق الثلاث	١٩١٢
٣٠.	ليون لورنس عيسابي	كوكب الفيحاء	١٩١٩
٣١.	محمد سعيد الزهاوي	رسالة في علم الكلام	١٩١٤
٣٢.	محمد فهمي المدرس	تاريخ الادبيات العربية حكمة التشريع الإسلامي	١٩٢٠ ١٩٢١
٣٣.	محمد مهدي الخالصي	حاشية على كفاية الاصول لمحمد كاظم الخرساني	١٩١٦ [viii]
٣٤.	محمود شكري الالوسي	غاية الاماني في الرد على النبهاني	١٩٢٠
٣٥.	معروف الرصافي	حكمة التشريع الاسلامي الرؤيا (قصة عن نامق كمال)	١٩٢١ ١٩٢١
٣٦.	نجم الدين الواعظ	غاية التقريب في الاصول	١٩١٥
٣٧.	نعمان الاعظمي	ارشاد الناشئين	١٩١٤
٣٨.	يحيى الوتري	الفرائد الادبية في القراءة العربية	١٩١٦
٣٩.	يعقوب سركيس	خطط بغداد واثارها دائرة المعارف البريطانية	١٩١٢
٤٠.	يوسف غنيمة	برديصان والبرديصيانية	١٩٢٠ [ix]

ويتضح من الجدول رقم (١) ان نسبة المؤلفات ذات الصلة بالتخصصات الإنسانية أعلى من المؤلفات العلمية وربما يعود السبب الى إن اغلب هؤلاء المثقفين هم من ذوي التخصصات الإنسانية سواء كان ذلك في مجال الشريعة الإسلامية بالنسبة لعلماء الدين أو اللغة العربية أو التاريخ أو ما شابه ذلك . ويتبين أيضا قلة المؤلفات عامة مقارنةً بعدد المثقفين ويعزى سبب هذه الشحة الى الظروف السياسية التي كانت سائدة آنذاك التي لم تكن تساعد المثقفين على طبع مؤلفاتهم اثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) وهذا لا يعني انعدام النتاجات الفكرية فظهرت عدة نتاجات ولكن ليست بمستوى اقرانهم من المثقفين في مصر والشام ، ولا ننسى الرقابة المفروضة من جمعية الاتحاد والترقي على بعض المطبوعات وهذا أدى بدوره الى نتائج سلبية على نوعية هذه المطبوعات على مختلف المجالات . ومع وجود بعض المعوقات فان دور هذه النتاجات ظهر جلياً في ذلك الوقت بسبب الحاجة الملحة من أبناء المجتمع البغدادي اذ بدأ المجتمع ينتبه الى ما يجد من المؤلفات التي تتحدث عن (العصرنة) ذلك ان الدولة العثمانية كانت تقيد حرية الرأي قبل سنة ١٩٠٨ فلما كانت الثورة وجدوا فرصة مناسبة لقراءة مثل هكذا مؤلفات [x] . واتضح دور المؤلفات البغدادية في المدارس الحكومية والأهلية على حد سواء وقد أثرت تاثيراً مباشراً على تطور الفكر البغدادي وقد استطاع الأدب في هذه المرحلة إن يكون في مقدمة الحركة الفكرية إذ كانت الحركة الأدبية والحركة الفكرية تسيران جنباً الى جنب فقد أصبح من المستحيل عزل الأدب عن الفكر وأصبح الأدباء الأداة الحرة للحياة الفكرية من خلال ما يطرحونه من مؤلفات هناك [xi] . لقد ركز الأدباء والشعراء في مؤلفاتهم على القضية السياسية ومن هنا أخذت أشعارهم ونثرهم تنحى منحى سياسي بحت مثل جميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي ، فظهرت مرحلة ما بعد الدستور العثماني تطوراً ملحوظاً في المقالات السياسية وأصبحت هذه النتاجات الأداة التي تحرك الأذهان [xii] . وقد خلفت الكثير من المؤلفات التي وضعها بعض علماء بغداد منها تلك التي تتعلق بتاريخ العرب وعاداتهم في تنبيه العراقيين على ماضي أمتهم وواقعهم الذي كانت تعيشه إذ كانت لهذه المؤلفات اليد الطولى في الحركة العربية بما كانت تتضمنه من دعوة صريحة للإصلاح والوعي القومي ، وتبرز هذه الدعوة الإصلاحية بشكل واضح في كتابات محمود شكري الالوسي من خلال مؤلفه الموسوم بـ (بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب) وقد عد بعض الباحثين هذا الكتاب من أهم ما ظهر من المؤلفات في العالم العربي ووصف ايضاً بأنه أول دراسة انثروبولوجية (علم البشر) عن العرب [xiii] .

٢. **إسهام المثقفين في تأليف المراجع العلمية والمدرسية :** يذكر أن المؤلفات الإسلامية ذات الصلة بطبيعة المدارس اعطت دوراً مهماً في تطوير الحياة الفكرية في بغداد ، ومثال على ذلك كتاب (المواهب الرحمانية والسهام الاحمدية) للشيخ احمد الشيخ داود الذي يتحدث فيه عن بعض الإحكام الشرعية التي تخص المذاهب السنية بوجه خاص واخذ هذا المؤلف طريقة في المدارس الدينية في بغداد وخاصة المدارس السنية المذهب [xiv] . ومثل كتاب (الوصايا والفرائض) للشيخ امجد الزهاوي مرجعاً لأغلب أبناء السنّة في بغداد وأضحى من الكتب الأساسية في تدريس العلوم الدينية لما له صلة بالفرائض الموجودة لدى المذهب الحنفي ، لاسيما وان امجد الزهاوي يشغل منصب مفتي بغداد فيصبح مؤلفه من الأساسيات التي يعتمد عليها [xv] . وإما علماء الشيعة ومنهم السيد حسن الصدر صاحب كتاب (تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام) فان مؤلفاته تميزت بالدقة ونقل المعلومة من الرواية الأصلية الخاصة عن أهل البيت عليم السلام ، فضلا عن كتابه المذكور هو مرجع تاريخي اكد على أحقية الشيعة في تطبيق الأحكام الشرعية بشكل صحيح ، كما ان السيد حيدر الصدر صاحب كتاب (الأوضاع اللفظية) الذي يبحث في معاني المفردات الخاصة بالإحكام الشرعية والذي هو أساس لطلبة العلوم الدينية في المراحل الأولى [xvi] . لقد اعتمد كتاب عبد الجليل الجميل (شروح في الأصول والمنطق) في المدارس الدينية وعدّ من المراجع في علم الأصول وكذلك علم المنطق فيجب إن يأخذ الطالب في مراحل المتوسطة مبادئ هذا الكتاب ومفرداته للوصول الى الأساسيات اللفظية في المنطق وكذلك معرفة أصول الإحكام الفقهية الشرعية [xvii] . وساهم محمد مهدي الخالصي الكبير بكتابه (حاشية على كفاية الأصول لمحمد كاظم الخراساني) في رفد الحوزات العلمية ذلك أن في الكاظمية حيث إن كفاية الأصول للخرساني كتاب فقهي يتحدث عن الإحكام الشرعية في الأصول وجاء محمد مهدي الخالصي وأضفى عليه حاشية كما هو معمول في الحوزات العلمية المنتشرة في بلدان العالم ذات المذهب الشيعي الاثني عشري [xviii] . وللمؤلفات التاريخية نصيب كبير في الحركة الفكرية وهنالك بعض المؤلفات التي عدت من المصادر الأصلية لدراسة التاريخ بعامة وتاريخ بغداد بخاصة ومثال على ذلك

كتاب يعقوب سركيس (خطط بغداد وأثارها) الذي اعتمد فيه المؤلف على المراجع في العصر الإسلامي سواء مدة الحكم الأموي او مدة الحكم العباسي مبرزاً من خلاله الأدوار التي مرت بها بغداد من خلال تغير تلك الخطط ، كما ألف سليم إسحاق (حوادث الزمان) الذي يتحدث عن خلفاء ال عثمان وبداية دولتهم وكيفية وصولهم الى الحكم ، كما يتناول الولاة العثمانيين الذين حكموا العراق في القرون الأربعة الأخيرة [xix] . ويزاد على ما ذكر سابقاً فقد كان لهذه الإعمال اثر مهم في تنبيه المجتمع على الأخذ بالعلوم الحديثة التي صارت سبب تقدم الدول والأمم ، لذا اخذ رواد الفكر والأدباء الدعوة الى الأخذ بأساليب الحضارة وإدخال العلوم الأوربية والبحث في قضايا النظريات الغربية مثل نظرية دارون في التطور وبحث تطور الفكر الاشتراكي ومعرفة النظام الشيوعي ودراسة الاتجاهات الاجتماعية الحديثة [xx] . ويتضح أن هذه المؤلفات كان لها تأثيرها على مجرى الإحداث ومسارها وعلى تكوين الاتجاهات الفكرية – السياسية في العراق واختلفت هذه التأثيرات ايضاً تبعاً لاختلاف أوضاع الفئات والجماعات الثقافية في المدينة ، فلم يكن قبل سنة ١٩٠٨ أي تنظيم سياسي بالمعنى الحديث ، فتأسست بعد هذه السنة الأحزاب والجمعيات السياسية وخاصة في مدينة بغداد [xxi] .

٣. **المثقفين والحركة الصحفية :** ومن النتاجات الفكرية الأخرى الصحافة ، فلم تقتصر الصحافة في ذلك الوقت على الصحف الرسمية التي صدرت منذ عام ١٨٦٩ بل تعدتها الى الكثير من الصحف والمجلات الأهلية والرسمية [xxii] ففي مدن العراق الرئيسية بلغ عدد الصحف الصادرة بحدود ٦١ صحيفة ففي بغداد صدرت (٤٤) صحيفة وفي البصرة (١٢) صحيفة وفي الموصل ثلاثة صحف وكانت اغلب هذه الصحف سياسية وكانت معظمها تصدر باللغة العربية وعدد قليل يصدر باللغة التركية والفارسية بعد الثورة الدستورية ١٩٠٨ [xxiii] . وكانت الصحافة في بغداد بعد اعادة العمل الدستور عام ١٩٠٨ تخضع لقانون الصحافة العثماني الذي بقي مفعوله سارياً في جميع المجالات الى ان عدل فيما بعد في سنة ١٩٣٣ حسب قانون رقم (٨٢) الذي اختص بالصحافة [xxiv] . وبعد اسابيع من الانقلاب ازداد عدد الصحف العراقية من ثلاثة صحف الى ٨٣ صحيفة ، إذ إن اعادة العمل في الدستور شجع الكثير من المفكرين والكتاب على البدء بإصدار الصحف والمجلات فازداد عدد الصحف في بغداد خلال سنتين وحدها الى ٢٥ صحيفة ، غير ان هذا النمو السريع للصحف ، مع نقص رؤساء التحرير الجيدين المسؤولين والمتدربين فادى الى ضعف مستواها الفني والادبي في مناقشتها السياسية [xxv] . وقام عدد من مثقفي بغداد بإصدار الصحف عملاً بما أعلنه الدستور بإطلاق الحرية للشعب فظهرت أول مرة في تاريخ العراق الجرائد الشعبية وفي طليعة من أقدم على ذلك (مراد بك) الذي اصدر في العاصمة العراقية جريدة باسم (بغداد) وتعد هذه الجريدة باكورة الصحف الشعبية في بغداد [xxvi] . وحذا حذوه (عبد اللطيف ثنيان) احد الأدباء المعروفين فاصدر جريدة الرقيب التي ظهر عددها الأول في كانون الثاني عام ١٩٠٩م وقد جاء في محتواها (جريدة عربية تركية خادمة لترقي الوطن بكمال الحرية) وكانت تصدرمرة واحدة في الأسبوع إلا إن قراءها أصروا على صاحبها بإصدارها مرتين في الأسبوع [xxvii] . وكانت هذه الجريدة تصدر باللغتين التركية والعربية غير إن القسم التركي كان صغيراً جداً مقارنة بالقسم العربي الذي كان يشغل معظم صفحاتها وقد رحبت الرقيب بتأيد الدستور العثماني على أمل إن يحقق الحرية لأبناء الشعب [xxviii] . وظهر دور هذه الجريدة من خلال مواقفها الجريئة وصراحة لهجتها ومجابهة الحكام بقبول الحق ونقل المواقف العامة للشعب في بغداد الى إسماع الحكومة العثمانية [xxix] .وظهرت أيضا جريدة عربية سياسية أسمها (صدى بابل) أصدرها المعلم الصحفي البغدادي داود صليوا وظهر عددها الأول في ١٣ اب سنة ١٩٠٩ واستمرت في الصدور مدة ست سنوات ، وامتازت هذه الجريدة بأنها مثّلت نفسية الشعب في العراق بالمطالبة بالعدل وإنصاف الرعية وإصلاح شؤون العراق وقد طالبت الوالي ناظم باشا بلهجة صريحة في مقالات متعددة على صفحاتها من ذلك مقال بعنوان (أماني العراقيين تعرض على أنظار دولة والينا الناظم) [xxx] .ولما احكم الانكليز سيطرتهم على العراق عام ١٩١٧ سمحوا بإنشاء بعض الصحف التي تروج لسياستهم وتدعوا الناس للتحبب إليهم فأصدروا صحيفة(العرب) في ٤ تموز ١٩١٧ فكانت جريدة يومية سياسية إخبارية تاريخية أدبية عمرانية عربية المبدأ والغرض ، وكان اسمها محبب لدى الشباب للتذكير بعنوان العروبة التي يسعون اليها [xxxi] . ويظهر من بعض مقالات الجريدة إن المس بيل تولت أدارة سياسة الجريدة بعد ان تركها فيلبي إذ وجدتها مناسبة لإظهار السياسة البريطانية في العراق بصورة جيدة وقد حرر فيها عدد من المثقفين ومنهم شكري الفضلي وعبد الحسين الازري بمقالات مختلفة بعضها عن السياسة البريطانية في العراق [xxxii] . وفي أثناء ثورة العشرين قامت الصحافة البغدادية بدور مهم من خلال كتابة المقالات التي نشرت الوعي الثوري في صفوف أبناء المجتمع البغدادي هناك مما دفعت هذه المقالات الى نشر مبادئ الثورة على المستويات الاجتماعية بصورة عامة [xxxiii] . وأول صحيفة دعت الى الثورة وقامت بنشر مفاهيمها هي مجلة اللسان التي صدر عددها الأول في تموز عام ١٩١٩ ، وقد أنشأها احمد عزت الاعظمي وجاء اسمها باللسان رمزاً لصحيفة (لسان العرب) التي كان ينشرها الكاتب نفسه ، وقد خلا اسم الاعظمي من غلاف المجلة والسبب في ذلك التستر عن أعين حكومة الاحتلال فجعل صاحبها (انطوان لوقا) ، وكانت في مقدمة الصحف الأهلية التي نادت بالحرية والسيادة والاستقلال بما كانت تنشره من مقالات وقصائد تلهب العواطف الوطنية عند القراء كافة [xxxiv] . وكانت لهذه المجلة مكانة خاصة وكبيرة في نفوس العراقيين المتلهفين الى الصحافة الوطنية الحرة وأخذت المقالات والبحوث تنشر على صفحات هذه المجلة وكتب فيها عدد كبير من الأدباء ومن أهمهم عبد الكريم العلاف وعبد الرحمن البناء وطه الراوي وغيرهم من ارباب الثقافة الذين اضحت مقالاتهم المنهل الذي يؤخذ منه أبناء المجتمع آنذاك [xxxv] . وتعد جريدة الاستقلال من الصحف المهمة في ثورة العشرين فهي منذ صدور عددها الأول في ٢٨ أيلول عام ١٩٢٠ أوضحت خطتها وبينت مبادئ عملها الصحفي من العبارة المرسومة في مقدمة الصفحة الأولى بأنها (جريدة يومية عربية حرة) وكان صاحب امتيازها الصحفي البغدادي المعروف عبد الغفور البدري احد أعضاء فرع حزب العهد العراقي [xxxvi] . ودعت جريدة الاستقلال من خلال مقالاتها الى التآخي والتكاتف بين أبناء الشعب الواحد وحذرت المواطنين من دسائس الأجنبي وأساليبه في بث الفرقة بينهم ونادت بالوقوف صفاً واحداً ليكونوا سداً منيعاً اتجاه الدسائس الأجنبية ، ومن أهم عناوين مقالاتها في عددها الصادر في ٢٦ كانون الأول ١٩٢٠ (المسلمون والمسيحيون في العراق) أكد البدري في هذه المقالة على وحدة الصف الوطني بين جميع مكونات المجتمع وما يمليه ذلك من الانتباه الى الدسائس الخارجية ، وشارك في تحرير بعض المقالات عدد غير قليل من المثقفين في بغداد [xxxvii] . وقد عانى الصحفيون في بغداد من بعض العراقيل في طريق إصدار الصحف في بعض الفترات وخاصة بين سنتي (١٩١٤- ١٩٢٠) ، وتعود أسباب ذلك لأمور مادية أو لتعرض أصحابها وخاصة صحف المعارضة الحزبية والصحف الفردية القومية النزعة الى الضغط ، والمحاكمة ، والسجن ، والتشريد ، والنفي فتعطلت بعض الصحف واستمرت الأخرى متعثرة الصدور [xxxviii] . والجدول رقم (٢) يبين الصحف والمجلات الصادرة في بغداد للمدة من (١٩٠٨-١٩٢١) وأصحاب الامتياز لهذه المطبوعات وجلهم من طلائع الفكر

والثقافة وبينهم عدد غير قليل من المثقفين :

ت	المثقف	الصحيفة او المجلة	السنة
١.	إبراهيم حلمي العمر	النهضة ، مجلة الحياة	١٩١٢
٢.	إبراهيم صالح شكر	جريدة ما بين النهرين ، الرياحين مجلة اللسان	١٩١٣ ١٩١٩
٣.	إبراهيم منيب الباجة جي	جريدة الرياحين	١٩٠٩
٤.	احمد عزت الاعظمي	جريدة الدليل	١٩١٣ ١٩١٢
٥.	انستاس ماري الكرملي	جريدة دار السلام	١٩١٩ (xxxix)
٦.	حسين فريد	جريدة الإرشاد	١٩٢١
٧.	حسين فوزي	جريدة السيف	١٩٢٠
٨.	حكمت سليمان	جريدة البيان جريدة الروضة	١٩٠٩
٩.	داود صليوا	جريدة صدى بابل بالاشتراك مع يوسف رزق الله غنيمة	١٩٠٩
١٠.	رؤوف الجادرجي	الانقلاب	١٩٢١ (xl)
١١.	رزوق عيسى	مجلة العلوم	١٩١١
١٢.	رزوق غنام	جريدة العراق	١٩١٧ (xli)
١٣.	سعيد لطفي	جريدة البلبل	١٩٢٠
١٤.	سليمان الدخيل	جريدة الرياض مجلة الحياة	١٩١٠ ١٩١٢
١٥.	سليمان عنبر	جريدة (تفكر)بالعربية والعبرية	١٩١٥
١٦.	عبد الجبار الخياط	جريدة العراق	١٩١٩ (xlii)
١٧.	عبد الحسين الازري	جريدة المصباح	١٩١١
١٨.	عبد الغفور البدري	جريدة الاستقلال	١٩١٧
١٩.	عبد اللطيف الفلاحي	جريدة مكتب	١٩١٧
٢٠.	عبد اللطيف ثنيان	جريدة الرقيب	١٩١٨
٢١.	عبد الهادي الاعظمي	مجلة تنوير افكار مع نعمان الاعظمي	١٩١٥ (xliii)
٢٢.	عزراروبين دنكور	جريدة الشرق بالعربية والعبرية	١٩١٦
٢٣.	عطا الخطيب	جريدة الارشاد جريدة صدى الاسلام	١٩١٤ ١٩١٥
٢٤.	كاظم الدجيلي	جريدة بغداد	١٩١٣
٢٥.	محمد صادق الاعرجي	جريدة الرصافة مجلة الرصافة	١٩١٣ (xliv)
٢٦.	محمد كامل الطبقجلي	جريدة بين النهرين جريدة الرافدين	١٩١٣ ١٩١٣ (xlv)
٢٧.	محي الدين الكيلاني	جريدة النور	١٩١٩
٢٨.	مزاحم الباجة جي	جريدة النهضة مع ابراهيم العمر	١٩١٨
٢٩.	نسيم يوسف سوميخ	جريدة الزهور بالعربية والتركية بالاشتراك مع رشيد الصفار	١٩١٦ (xlvi)
٣٠.	نعمان الاعظمي	مجلة تنوير افكار	١٩٠٩
٣١.	الياهو دنكور	مجلة لغة العرب	١٩٢٨
٣٢.	يوسف رزق اللة غنيمة	جريدة صدى بابل بالاشتراك مع داود صليوا	١٩١٠

والجدول السابق يشير الى رجال الصحافة من المثقفين وغيرهم ، والتركيز على الصحف الأهلية وفيها المحابات للسلطات التركية والبريطانية وعدم ذكر الصحف الحكومية ، وبعضهم ممن اثروا على أنفسهم مقارعة الوضع القائم آنذاك بالكلمة ، وهذه الحال تطلبت أحيانا أقصى غايات الجرأة في نقد الأوضاع القائمة في بغداد . وكانت مفارقات إصدار هذه الصحف هي إقدام أصحابها على إصدار

صحف جديدة كلما عطلت الحكومة إصدارها [xlvii] .وأما الصحف غير السياسية فاتخذت جانب الفكاهة أو الجانب الثقافي أو التعليمي بشكل خاص مما يدل على اختصاص الدور المناط بالصحف على جهة معينة كأن تكون السياسة أو التعليم أو الجانب الفكاهي والهزلي [xlviii] . ومثلت الصحف على مختلف أنواعها دورا توثيقيا لحياة المجتمع من خلال تسجيل الوقائع والاحداث وكذلك تسجيل مراحل الدراسة في المدارس البغدادية وباتت تشكل المرأة الموضوع الاكثر انتشارا بين المواضيع الاجتماعية ، وقد تحققت هذه المهمة من خلال أولئك المثقفين . ولم تقتصر عملية إصدار الصحف على أصحاب الاختصاص حسب وإنما تعدت الى علماء الدين ورجال القضاء والأدباء فكانت الصحافة البغدادية ميدانا للشرائح الثقافية ، كما كانت أكثر موضوعاتها سياسية وهذا بدوره ادى الى تقوية أواصر العلاقة بين رجال الصحافة ورجال السياسة . واستطاع هؤلاء تغير الكثير من المفاهيم العامة التي تحد من الانطلاق نحو الحياة الى الأمام في مجالات السياسة والاجتماع والأدب والثقافة والاقتصاد ، وقد قامت هذه الصحافة على أكتاف الأدباء البغداديين الذين كونتهم الدراسات الخاصة والدراسات الدينية ، فكانت صحفهم أكثر ميلاً الى الأدب [xlix] .

الهوامش :

[i] عباس العزاوي ، تاريخ المعاهد الخيرية في العراق ، مخطوط في مكتبة الدراسات العليا ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، الرقم ٣٣٥٧١ ، ورقة ٢٩-٣٢ .
[ii] المصدر نفسه ، ورقة ٧٢ .
[iii] باقر امين الورد ، اعلام العراق الحديث ، ١٨٦٩ – ١٩٦٩ ، ج١ ، تقديم ناجي معروف ص٥٥ ، ص٩٤ ، ص١٣٠ ، ص١٢٩ .
[iv] مير بصري ، اعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث ، وزارة الاعلام ، (بغداد د.ت) ، ج١ ، ص٣٠ ، ص٥١ ، ص٦١ ، ص٨٠ ، ص٨٢ .
[v] المصدر نفسه ، ص ١٣٣ ، ص ١٤٢ ، ص١٥١ ، ص١٤٩ ، ص١٦٢ ، ص٢٢٦ ، ص٢٧١ ، ص٣١٧ .
[vi] مير البصري ، اعلام اليهود في العراق الحديث ، دار الوراق ، (لندن ٢٠٠٦) ، ص١٠٦ ، زين احمد النقشبندي ، مباحث في تاريخ أوائل المطبوعات والمكتبات البغدادية ، بغداد ٢٠٠١ ، ص٢٥٦ .
[vii] مير بصري ، أعلام الأدب في العراق الحديث ، تقديم جليل العطية ، ج١ ، ص١٣٧.
[viii] المصدر نفسه ، ص٣٢٥ .
[ix] سهيل قاشا ، مسيحيو العراق ، ط١ ، دار الوراق ، (بيروت ٢٠٠٩) ، ص٣٢١ .
[x] العزاوي ، تاريخ المعاهد الخيرية ، ورقة ٩٢ .
[xi] جريدة صدى بابل ، العدد (٢٢) ، ١٢ مارس ١٩٠٩ .
[xii] جريدة المقتطف ، ج٨ ، ١ اب ١٩٠٩ ، ص ٣٢ .
[xiii] جبرائيل حنوش ، مختصر المستفاد من تاريخ بغداد ، مخطوط في مكتبة الدراسات العليا ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، الرقم ١١٠٤ ، ورقة ١٧٢ .
[xiv] احمد الشيخ داود ، المواهب الرحمانية والسهام الاحمدية ، الحرية ، ط٣ ، (بغداد ١٩٧٦) ، ص١٠ .
[xv] امجد الزهاوي ، الفتاوى الزهاوية ، تحقيق حسن العاني، ج٢، ط١، المطبعة العاني، (بغداد ١٩٨٩) ، ص١٠.
[xvi] حسن الصدر ، تاسيس الشيعة لعلوم الاسلام ، ط٢ ، (بغداد ١٩٦٨)، ص١٢ .
[xvii] مير بصري ، اعلام الادب ، ج١ ، ص٣٨٩ .
[xviii] المصدر نفسه ، ص٣٧٤ .
[xix] مير بصري ، اعلام اليهود ، ص١٠٦ .
[xx] احمد عزت الاعظمي ، القضية العربية ، (بغداد ١٩٣٢) ، ج٣ ، ص٣٥ .
[xxi] عبد الحليم الرهيمي ، تاريخ الحركة الاسلامية في العراق (١٩٠٠ – ١٩٢٤) ، الدار العالمية للطباعة والنشر ، ط١ ، (بيروت ١٩٨٥) ، ص١٣٥-١٣٦ .
[xxii] فائق بطي ، الصحافة العراقية ميلادها وتطورها ، (بغداد ١٩٦١) ، ص١٤ .
[xxiii] المصدر نفسه ، ص١٥ .
[xxiv] منير بكر التكريتي ، الصحافة العراقية واتجاهاتها السياسية والاجتماعية والثقافية من (١٨٦٩- ١٩٢١) ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد ١٩٦٩) ، ص١٦ .
[xxv] المصدر نفسه ، ص١٧ .
[xxvi] المصدر نفسه ، ص٨٩ .
[xxvii] الرقيب ، العدد ١٣٠ ، السنة ١٩١٠ . خيري العمري ، شخصيات صحفية (عبد اللطيف ثنيان) ، دار الجمهورية ، (بغداد ١٩٦٩) ، ص٥ .
[xxviii] المصدر نفسه ، ص٦ .
[xxix] التكريتي ، المصدر السابق ، ص٩٧ .
[xxx] فائق بطي ، صحف بغداد في ذكرى تاسيسها ، (بغداد ١٩٦٢) ، ص١١ .
[xxxi] رفائيل بطي ، الصحافة في العراق ، (بغداد ١٩٥٥) ، ص٤٦ .
[xxxii] المصدر نفسه ، ص٦٢ .
[xxxiii] يعقوب يوسف كوريه ، صحافة ثورة العشرين ، مطبعة السعدي ، (بغداد ١٩٧٠) ، ص٧ .
[xxxiv] المصدر نفسه ، ص ٨ .
[xxxv] المصدر نفسه ، ص ٩ .
[xxxvi] فائق بطي ، أعلام في صحافة العراق ، مطبعة دار السلام ، (بغداد ١٩٧١) ، ص١٤٢ .
[xxxvii] عناد اسماعيل الكبيسي ، من أعلام الحداثة في الأدب والصحافة ، دار الشؤون الثقافية ، ط١ ، (بغداد ٢٠٠٧) ، ص ٧٣ .
[xxxviii] المصدر نفسه ، ص٢٣ .
[xxxix] ريزان جلال الجبوري ، ابراهيم حلمي العمر ودورة الفكري والصحفي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، ابن رشد ، (جامعة بغداد ٢٠٠٢) ، ص٦١ .
[xl] زاهدة ابراهيم ، كشاف الجرائد والمجلات العراقية ، دار الحرية للطباعة، (بغداد ١٩٧٦) ، صفحات متفرقة .
[xli] فائق بطي ، صحف بغداد ، ص١٠ .
[xlii] المصدر نفسه ، ص١٢.
[xliii] مير بصري ، اعلام الادب ، ج١ ، ص٣٨٢ .
[xliv] المصدر نفسه ، ص٣٨٤ .
[xlv] جريدة الرياض ، العدد (٣٢) ، تشرين الثاني ١٩١١ .
[xlvi] مير بصري ، اعلام اليهود ، ص١٠٦ ، ص١٨١ .
[xlvii] فائق بطي ، صحف بغداد ، ص١٧ .
[xlviii] المصدر نفسه ، ص١٩ . [xlix] عناد الكبيسي ، المصدر السابق ، ص١٧ .